محاضرة رقم 9

نظرية هابرماس

تعتمد نظرية هابرماس إذن على الجمع بين الجانبين العملي والاتصالي التفاعلي وتقوم نظرية الفعل الاتصالي على أساس افتراض الاتصال والتفاعل البيني الذاتي الرمزي عامة واللغوي خاصة فقد توصل اعتماداً على الفلسفة التأويلية والتحليل اللغوي إلى أن الناس يتوحدون جماعياً بالفهم المشترك للرمز واللغة , وإن الإنسان يتميز عن الكائنات الأخرى إضافة إلى قدراته العلمية ببين ذاتية راسخة في البناءات اللغوية ولهذا فإنّ إنتاج الحياة الإنسانية وتطورها يعتمد إلى جانب الشق الإنتاجي على الجانب الاتصالي والفهم المتبادل والمشترك للغة , لكن يبقى هابرماس يؤكد أنّ العمل الاجتماعي هاماً وأنّ علمية تنظيم وتقسيم العمل وتوزيع الإنتاج تسبق ظهور اللغة والاتصال اللغوي , وهو بذلك يتوافق الرأي مع ماركس وميد وأنجلز الذين يقرون بسبق الفعل الإنتاجي للغة , ولكن بنفس الوقت إنّ الوجود الاجتماعي المنظم يعتمد على الإجماع اللغوي , لأنّ اللغة هي أصل الفهم المشترك والفهم المشترك لدلالاتها هو أساس بناء وقيام وتطور المجتمعات الإنسانية لأنها هي أداة التفاعل .

النظرية الاجتماعية عند هابرماس

افترض هيرماس خلال عرضه لنظريته أن للمجتمع فهم مشترك للغة على أساس معياري مفترضاً أنّ الحديث والاتصال البين ذاتي يرتكز على البناءات اللغوية وقواعد اللغة والحديث, يميز هابرماس في أعماله المبكرة بين ثلاث أشكال للنظرية ـ.تقوم على ثلاث أشكال "مصالح معرفية "و ما يعنيه بالمصالح المعرفية هو أننا دائما نطور المعرفة لغرض معين .و تحقيق ذلك الغرض هو أساس مصلحتنا في تلك المعرفة .على ان المصالح التي تناولها هابرماس بالنقاش هي المصالح المشتركة .بحكم اننا أعضاء في المجتمع الإنساني .

يذهب هابرماس الى ان العمل ليس وحده ما يميز البشر عن الحيوانات و يجعلنا قادرين على تحويل بيئتنا .بل اللغة (القدرة على استخدام العلامات للتواصل)لها دور أيضا.ان القدرة على العمل و القدرة على التواصل تفضيان الى ظهور شكلين من مختلفين من أشكال المعرفة فالعمل يؤدي الى ظهور المصلحة التقنية ،و هي المتمثلة في السيطرة على العمليات الطبيعية و استغلالها لمصلحتنا ...(الكهرباء كمثال)

هذه المصلحة تؤدي الى ظهور العلوم التحليلية ...و كل مصلحة تنمو من خلال ما يدعوه هابرماس بالوسط و هو المجال الذي توضع فيه المصلحة موضوع التنفيذ و المصلحة التقنية متأصلة في العمل و تنمو من خلاله ..

تؤدي اللغة الى ظهور "المصلحة العملية" و هذه بدورها تؤدي الى ظهور "العلوم التأويلية" و ينصب اهتمام "المصلحة العملية" على التفاعل البشري أي على طريقة تأويل أفعالنا تجاه

بعضنا البعض و طريقة فهمنا لبعض ،و السبل التي نتفاعل بها في اطار التنظيمات الاجتماعية (مدرسة التفاعلية الرمزية كمثال)

يذهب هابرماس الى ان المصلحة تفضي الى نوع ثالث من المصلحة و هي مصلحة الانعتاق و التحرر و هذه المصلحة مرتبطة باللغة .و هي تسعى لتخليص التفاعل و التواصل من العناصر التي تشوهها.و مصلحة الانعتاق و التحرر تؤدي الى ظهور العلوم النقدية ...التي تنطلق من التسليم بقدرتنا على التفكير و على الوعي وعيا ذاتيا بما نعمل انطلاقا من ادراكنا لقواعد التفاعل المقبولة اجتماعيا .و التشويه يقع حينما تخفي وقائع حالة معينة عن بعض المشاركين في عملية التفاعل أو عنهم كلهم ،أو عندما تحول القوانين بطريقة أو بأخرى بين البشر و بين مشاركتهم الكاملة في عملية اتخاذ القرار .و غاية العلوم النقدية هي الكشف عن التشويه القائم في التفاعل و التواصل و إصلاحه.

و هذه تمثل الفكرة هي أساس نظرية هبرماس النقدية و منطلقها .

يتوجه هابرماس في "نظرية فعل التواصل "الى فلسفة اللغة :

1-يدعو الى التحرر من "فلسفة الوعي " التي يعني بها الفلسفة التي ترى العلاقة بين اللغة و الفعل كالعلاقة بين الذات و الموضوع

2-يمكن ان يتخذ الفعل صورتين ،الفعل الأستراتيجي و فعل التواصل الأول يتضمن الفعل الغائي العقلاني في حين فعل التواصل هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول الى الفهم .

3-يترتب على إعطاء فعل التواصل عدة أمور :

-ان العقلانية تستلزم نسقا ديموقراطيا يشمل الجميع و لا يستبعد أحدا .هذفه ليس الهيمنة بل الوصول الى التفاهم .

-ثمة نظام أخلاقي ضمني "الاخلاق الكلية "...ذلك ان الحداثة تستدعي قيام النظام الأخلاقي على أساس عقلاني .

-وجود فكرة مجتمع ديموقراطي بحق يكون فيه للجميع فرص متكافئة للوصول الى أدوات العقل ...كالمساهمة في الحوار .

ان النظرية عند هابرماس هي نتاج الفعل البشري و تخدم غايات ذلك الفعل و هي أساس لتحقيق حرية اكبر للبشر .و هي تتطور بعدة مستويات متباينة و تتضمن اعمال هبرماس نقد لأعمال ماركس الأولى بتحويل التركيز من العمل الى نحو اللغة و التواصل .حيث يذهب الى ان العمل المنظم اجتماعيا ليس كافيا وحده لتحديد وضع البشر بل اللغة و التواصل هما العملان الحسمان في الواقع.و يرى هابرماس ان المستوى الاقتصادي للتشكل الاجتماعي ليس هو المستوى

المهيمن في المجتمعات الرأسمالية إلا في مرحلة الرأسمالية المبكرة ....كما يشير الى ان كل نمط من المجتمعات محكوم بشبكة مؤسسية معينة (المؤسسات الأقتصادية في حال الرأسمالية الأولى ثم الدولة في حال المراحل المتأخرة ،أو القرابة في حال المجتمعات القبلية ...)و يطرح هبرماس فكرة ان التغير يحدث حينما تستنفذ الأمكانيات المتاحة للتطور البشري مع بقاء المشكلات عالقة ...و يشير الى "قوة تطورية دافعة غير متوقعة " تنقل المجتمع الى المرحلة المقبلة

ينظر هابرماس الى عملية تطور المجتمعات من عدة زوايا

-فالمجتمع هو نتاج الفعل الإنساني و هو يقوم على المعايير و القيم و لا بد ان ننظر الى تلك المعايير و القيم اذا اردنا فهم التغير الاجتماعي

-أساس النقد الاجتماعي هو الهدف الذي ننشده من التطور الاجتماعي (مجتمع عقلاني)

يشارك فيه الجميع على قدم المساواة ووضع يكون فيه التواصل غير مشوه .

تحليل هابرماس النظام الراسمالي :

-ان الرأسمالية أساسا مرحلة من مراحل التطور كما ركز على ظاهرة الهيمنة التقنية و العقل الأداتي السائدة في النظام .

-ان الرأسمالية الأولى بدأت تشهد تكون ما بات يعرف بالرأي العام

-ان الرأسمالية الحديثة تتميز بهيمنة الدولة على الأقتصاد و على المجالات الأخرى للحياة الااجتماعية

-ان شؤون الحياة العامة لم يعد ينظر اليها باعتبارها مجالا للنقاش و الاختبار بل باعتبارها مشكلات تقنية يحل بواسطة الخبراء يستخدمون في عملهم عقلانية أداتية

-يؤدي تدخل الدولة الى أزمة العقلانية تنشأ بسبب الأقتراض الدائم للدولة من أجل تأدية وظائفها....

- رأي هابرماس في موضوع الحداثة وما بعد الحداثة

يرى هابرماس انه بالرغم من التغيرات السريعة والجذرية فإنّ المنطق الذي يحكم الرأسمالية ومجتمعاتها يبقى نفسه فالاعتراف بهذه التغيرات وتسارع وتيرتها لا يعني الخروج عن الحداثة إذ لا تعدو هذه التغيرات كونها تحولات داخلية في النظام الرأسمالي .

المصادر :

-ايان كريب .النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس .ترجمة محمد حسين غلوم .علم المعرفة 1999

- محمد عبد الكريم الحوراني .النظرية المعاصرة في علم الاجتماع

-احسان محمد الحسن .النظريات الاجتماعية المتقدمة